الخطاب النهائي

الذي ألقاه أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢١/٨/٨م

في الجلسة السنوية للجماعة في بريطانيا في حديقة المهدي

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

سأواصل الحديث اليوم عن حقوق شرائح مختلفة في المجتمع التي ذكرتها في خطابي الأخير في الجلسة السنوية في عام ٢٠١٩م، وقد ذكرتُ في خطابي في خيمة النساء أيضا بالأمس حقوق بعض الشرائح التي أصّلها الإسلام، وسأتحدث عن هذه الحقوق كلها في ضوء القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال المسيح الموعود عليه السلام، التي بالعمل بها يمكن أن تقوم حقوق مختلف الشرائح في الحقيقة. إننا نؤمن بأن تعليم القرآن الكريم كامل ومكتمل ويضمن حلا لمشاكل كل عصر، وبغير العمل بها لا يمكن أن تحل المشاكل السائدة في العالم ولا يمكن أداء حقوق الشرائح المختلفة في المجتمع. لذا لا حاجة بنا لأدنى تردد ولا خجل ولا الشعور بالدونية عند تقديم هذا التعليم أمام العالم. ولا حاجة لنا لتبني القواعد والقوانين التي وضعها أهل الدنيا بشأن الحقوق، وكما لا حاجة لنا لاختيار موقف دفاعي، بل هناك حاجة إلى أن ندعو أهل الدنيا وحملة راية الحقوق المزعومين ليتبعونا في ضوء تعليم الإسلام، لكي يتم الحفاظ على حقوق كافة شرائح المجتمع وليتأصل الأمن والسلام في العالم حقيقةً. من المؤكد أنه لا يمكن تأصيل حقوق الشرائح المختلفة في المجتمع ما لم يكن هناك يقين أن لنا إلها خلقنا، وأن أداء حقوقه ضروري. يقول المسيح الموعود عليه السلام: ما هو حق الله؟ إنما المراد منه هو عبادته وعدم إشراك أحد في عبادته والانهماك في ذكره عزّ وجلّ، والعمل بأوامره واجتناب نواهيه ومحرماته. فلو كان لدى المرء هذه الفكرة عن الله تعالى لكان منتبها إلى العمل بأوامره أيضا. علما أن الأغلبية الساحقة من أوامره تحتوي على أداء حقوق خلقه. إن الله تعالى يملك القوة كلها، وهو مالك وربٌّ ويعطي كل شيء. فشكره واجب على كل إنسان على أنه يُري نماذج ربوبيته ورحمانيته ورحيميته. وقد قال رسول الله ﷺ أنه إذا أحسن إليكم أحد و لم تشكروه فكأنكم لا تشكرون الله. فقد أمرنا الله تعالى أن أدّوا حقوق الآخرين دائما، عندها فقط ستكونون ممن يؤدون حقوقي. فبشرط

شكر الناس بشكره ﷻ قد جعل الله تعالى أداء حقوقه منوطا بأداء حقوق العباد. فهذا هو التعليم الجميل للإسلام، وهذا هو إله الإسلام الذي يوصي على هذا النحو بأداء الحقوق المتبادلة.

والآن سأذكر بعضًا من هذه الحقوق: إن الحقوق التي ذكرتُها من قبل تضمّنت شيئا من حقوق الله تعالى، وحقوق الآباء والأبناء والبنات، وحقوق الزوجين والإخوة والأخوات، والأقارب والجيران، وحقوق الأرامل والمسنين، وحقوق الأعداء والعبيد والجواري وحقوق غير المسلمين. إن تفاصيل هذه الحقوق عظيمة لدرجة لا يبلغ أهل الدنيا شأوها. ولا يقتصر الأمر على الحقوق المذكورة فقط بل هناك قائمة لحقوق أخرى أيضا وسأذكر بعضا منها التي يوصي الإسلام أتباعه بتأصيلها ويقول بأنكم لو أديتموها لكنتم مؤمنين ومسلمين صادقين. عندما نخوض في التفاصيل نعلم أن الإسلام قد أصّل حقوق الحيوانات أيضا. و لم يقتصر الأمر على أن الإسلام أمر بذلك وانتهى الأمر بل قد قاد العاملون بتعليم الإسلام أسوتهم للعمل به أيضا.

إن حقوق بعض شرائح المجتمع التي سأتحدث عنها اليوم منها حقوق الأصدقاء أيضا. انظروا كيف بيّنها الله تعالى بالتفصيل وأرشدنا أن الصديق الصدوق هو الذي يكون قلبه نزيها، وإلا لا معنى للصداقة المتبادلة.

فإذا اتخذتم أحدا صديقا لكم ممن كانت قلوبهم نزيهة فأدوا حقوقهم. يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران: ١١٩)

لقد ضمّ الله تعالى الأصدقاء إلى قائمة الأقارب القريبين وبذلك خلق جوّ الأخوة والوئام الذي يزيد الشعور بالقرابة. لقد جاء في الحديث: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ".

إن الإيفاء بعهد الصداقة لوجه الله هو ما يضمن بقاءها. ففي هذه الحالة لا تكون الصداقة مؤقتة ولا يحدث فيها الشقاق. أما الصداقة التي ليست لله فتكون مؤقتة فقط.

وفي رواية أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى". قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ قَالَ: "هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا. فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ".

إذن، هذه هي نتيجة الصداقة المتبادلة لوجه الله، وهذه منة الله على المتحابين لوجهه ﷻ.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ وَلَكَ بِمِثْلٍ".

ليس المراد هنا الأشقاء فقط لأن الإنسان يدعو للأشقاء على أية حال، بل الأخوة المذكورة هنا تشمل الأصدقاء وغير الأقارب أيضا. فقد أسّس الإسلام حبا لا نظير له. الأخوة والصداقة توجّهان الناس إلى الدعاء لبعضهم وتكونان سببا لدعاء الملائكة لهم أيضا.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ".

وعَنْ أَبِي أُسَيْدٍ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيِّ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا قَالَ: "نَعَمْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا".

ففي هذا الحديث أيضا لم يُذكر الأصدقاء من دين واحد فقط بل هذا ذكر عام. فمن حق الصداقة أن يؤدي المرء حق أصدقاء والديه أيضا. فقد جاء في رواية عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: "يَقُولُ إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ". فهنا زاد النبي ﷺ الموضوع شرحا أكثر إذ أصّل حق الصداقة إلى أجيال تالية أيضا.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: الحق أن علاقة أصحابنا معنا كعلاقة الأعضاء مع الجسد، ومما نجربه يوميا أنه إذا اشتكى عضو صغير كالأصبع مثلا من جسد الإنسان تداعى له الجسد كله، والله يعلم جيدا أنني هكذا تماما أظل دائم التفكير والقلق كل حين وآن أن ينعم أحبابنا بكل أنواع الراحة والرخاء. وليس في هذه الشفقة والمواساة شيء من التكلف والاصطناع، بل أجد في قلبي ولوجه الله لوعة ومواساة تجاه أحبابي كما تظل الأم الرؤوم قلقة على راحة وخير كل واحد من أولادها مهما كثروا. ومواساتي هذه اضطرارية لدرجة أنني عندما أجد في رسالة بعض أحبابي أنه مصاب بأذى أو مرض، أصاب بالهم والغم حتى أفقد الراحة، وكلما كثر أحبابي عددا، كثرت همومي، حتى لا يخلو وقت إلا وأنا في حزن وهمٍّ من أجلهم، إذ لا بد أن يكون البعض من هؤلاء الأحباب ذوي العدد الكبير مصابا بهمٍّ وأذى، وعندما يبلغني خبره يصاب قلبي بالقلق ويفقد الراحة والقرار. لا أستطيع حساب كم أقضي أوقاتي في الهموم. وبما أنه ليس هناك مَن ينجي من هذه الهموم والأحزان إلا الله تعالى، فأظل في الدعاء دوما، وأول أدعيتي إنما هو أن يحفظ الله أحبابي من الهموم والغموم، فإنها هي التي تصيبني بالقلق والتفكير. كما أني أدعو دعاء عاما بأن أحدًا إذا

كان قد أصابه همٌّ أو أذى فليُنجه الله منه. إن أكبر حماسي ونشاطي إنما هو أن أدعو الله تعالى، وأعقد على استجابة الدعاء آمالا كبيرة."

قال عليه السلام هذا بحق أفراد الجماعة، ثم قال أيضا ما معناه: إن علاقتي مع أصدقائي وأهلهم وأولادهم هي كأنهم أهلنا وأولادنا. وأحزن على موت صديق كحزني على موت أحب الأولاد إليّ. ثم يقول عليه السلام عن معيار الصداقة ضاربا مثلا: السرقة عادة سيئة، لكن المرء إذا استخدم شيئا من أشياء الأصدقاء دون إذنٍ فلا يعاب. (هذا ما يلاحَظ في العالم عادة بشرط أن تكون الصداقة متينة، ولو استُخدمت أشياء الأصدقاء في هذه الحالة فلا يعاب عليه لأن هذا ليست سرقة)

كان هناك صديقان حميمان وكان أحدهما محسنًا إلى الثاني، وبالمصادفة خرج أحدهما في سفر، فجاء الثاني إلى بيته في غيابه وسأل الخادمة أين صديقي، فقالت هو مسافر. ثم سألها هل عندك مفتاح صندوق أمواله، فقالت نعم هو عندي. فطلبه منها والصندوق أيضًا ففتحه بيده وأخذ منه الأموال بحسب حاجته، فلمَّا عاد الرجل إلى بيته من السفر أخبرتْه الخادمة أن صديقك جاء إلى البيت، فاصفرَّ لونه وسألها: إذن ماذا قال؟ فأخبرتْه الخادمة أنه طلب صندوق الأموال والمفتاح وأخذ شيئًا من الأموال وانصرف. فسُرَّ صاحب البيت سروراً لا يوصف على أنها استجابت لطلب صديقه، ولم تزعجه. ثم حرَّر تلك الخادمة، قائلا أحررك اليوم جزاء على تصرُّفٍ صالح صدر منك اليوم".

فهذه هي الصداقة والأُخوّة التي يجب أن يؤدي الجميع حقها تجاه الآخر. ما أروعَ ما بيّن به المسيح الموعود عليه السلام حقَّ الصداقة فقال: أما أنا فمذهبي أن مَن عقد معي عهد الصداقة مرة، فإني أفي بهذا العهد دوما ولا أستطيع قطع صلتي معه مهما ساءت حاله. إذا قطع أحد بنفسه هذه الصلة معي فلا أملك حيلة تجاهه، وإلا فإن مذهبي أنه لو كان لي صديق يشرب الخمر وكان واقعا في السوق سكرانَ وكان الناس مزدحمين حوله فسوف أحمله من هنالك غير خائف من لومة لائم. إن عهد الصداقة لجوهرة غالية، فلا ينبغي إضاعتها بسهولة، وعلى المرء التغاضي والصبر على صديقه مهما صدر منه ما يشقّ عليه.

علمًا أن حضرته عليه السلام يتحدث هنا عن الأصدقاء عامة إذ لن يفعل ذلك أحد مريديه عليه السلام.

فهذا هو معيار حق الصداقة، أي إذا قال المرء مرة إن هذا صديقي فعليه أن يحافظ على صداقته حتى النهاية.

لقد قال النبي ﷺ إن من واجب الأولاد الإحسان إلى أصدقاء الوالدين، وأداء حق صداقتهم، كما ذكر آنفا.

ثم إن الإسلام قد أمر المسلمين بالصيام، ولكنه أقر حق المريض أيضا بصدد الصيام، فقال الله تعالى إذا كان المرء مريضا فهو مُعْفىً من الصيام إلى أن يستعيد صحته حيث قال تعالى: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ

مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة: ١٨٥). فجعل الله تعالى من حق المريض أنه معفىً من الصيام أيام مرضه، و لم يجبره الله على الصوم في كل حال. بعض المرضى يفرضون على أنفسهم الصيام جبرا، وهم مخطئون في الواقع. لقد قال المسيح الموعود عليه السلام إن الإسلام آتاكم الرخصة، ومع ذلك إن صمتم في سفر أو مرض فلا بد لكم من صوم ذلك اليوم بعد رمضان.

ثم توطيدا لحق المريض في المجتمع الإسلامي أمر الإسلام باحترام حتى أدنى رغباته أيضا. فعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ عاد مريضا وقال له: هل تشتهي شيئا؟ قال أحب خبز القمح. (هكذا كان حال الصحابة يومئذ حيث لم يتيسر لهم خبز القمح، حتى قال ذلك المريض أريد أن آكل قليلا من خبز القمح) فقال النبي ﷺ لأصحابه: مَن كان عنده خبز القمح فليرسله إلى أخيه هذا. فلم يكن خبز القمح شيئا عاما حتى يتيسر في كل بيت، ولذلك قال النبي ﷺ من كان في بيته خبز القمح فليحقق رغبة أخيه المريض هذا. ثم قال ﷺ إذا كان مريض أحدكم يشتهي شيئا فليطعمْه إياه.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ (من السماء) أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا".

فالله تعالى يتفضل على الإنسان لهذه الدرجة نتيجة عيادة المريض.

ومن حق المريض الدعاء له، وقد قدم النبي ﷺ أسوته بهذا الشأن، فعن عَائِشَةَ بِنْت سَعْد أَنَّ أَبَاهَا قَالَ: تَشَكَّيْتُ بِمَكَّةَ، فَجَاءَنِي النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي، ثم وَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِه ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِي وَبَطْنِي، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا وَأَتْمِمْ لَهُ هِجْرَتَهُ". (أي دعا له بطول العمر).

وهناك رواية عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه تبين لنا كم هو عظيمٌ أجرُ عيادة المريض وأداء حقه حيث قال: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَنْ عَادَ مَرِيضًا مَشَى فِي خِرَافِ الْجَنَّةِ (أي قطف ثمار الجنة)، فَإِذَا جَلَسَ عِنْدَهُ اسْتَنْقَعَ (أي انغمس) فِي الرَّحْمَةِ، فَإِذَا كان عاده صباحا دعا له سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ بالرحمة حتى المساء، وإذا عاده مساء دعا له سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ بالرحمة حتى الصباح". فهذا هو أجر عيادة المريض.

ثم إن النبي ﷺ قد علّمنا طريقة عيادة المريض، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "تَمَامُ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ أَنْ يَضَعَ أَحَدُكُمْ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِه (وقد مرَّ آنفًا حديث يبين كيف أن النبي ﷺ وضع يده على جبين المريض) أَوْ قَالَ عَلَى يَدِهِ فَيَسْأَلُهُ كَيْفَ هُوَ، وَتَمَامُ تَحِيَّاتِكُمْ بَيْنَكُمْ الْمُصَافَحَةُ".

أما وكيف كان سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام يؤدي حق المرضى، فهناك رواية تقول: مرض أحد القرشيين أياما، ثم جاء إلى دار الأمان (أي قاديان) ليتعالج على يد حضرة حكيم الأمة (أي مولانا نور الدين)، وطلب من حضرة حجة الله (المسيحِ الموعود عليه السلام) الدعاءَ عدة مرات، فقال عليه السلام

سوف ندعو. قال الراوي: ثم في مساء أحد الأيام أرسل هذا المريض للمسيح الموعود عليه السلام بواسطة حضرة حكيم الأمة بأنه يريد أن يتشرف بزيارته ولكن لا يقدر على المشي لأن قدميه منتفختان. فوعده المسيح الموعود عليه السلام بزيارته في مترله وقال إنه سيأتيه غدا. ثم وفاءً بوعده، حين خرج حضرة المسيح الموعود عليه السلام في الغد للتنزه مع خدامه ذهب أولاً إلى مترل هذا المريض، وظل جالسا عنده بعض الوقت يسأل عن حاله.

وقال حضرة شيخ يعقوب علي العرفاني: أحيانا يسافر المسيح الموعود عليه السلام لعيادة المرضى. كان في لدهيانه متصوف يدعى مير عباس علي وكان في بداية أمره يكنّ الحب والإخلاص لحضرته عليه السلام، فوصلته رسالة من هذا الصوفي يخبره فيها بأنه مريض. ورغم أن المسيح الموعود عليه السلام كان مريضا وشديد الانشغال بأعماله، إلا أنه راعى حق الصداقة والإخوة بحيث ارتأى لزاما عليه أن يذهب إلى لدهيانه لعيادة هذا المريض. ثم يكتب حضرة المفتي أن المسيح الموعود عليه السلام سافر بحسب الوعد إلى لدهيانة في ١٤ أكتوبر ١٨٨٤، وقام بعيادة السيد مير ورجع، فشفاه الله تعالى.

وأيضا كيف كان سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام يؤدي حق المرضى، فقد كتب حضرة المولوي عبد الكريم السيالكوتي: تأتيه عليه السلام النساءُ البسيطات الأميات في بعض الأحيان طلبًا للدواء أو الوصفة منه، فيطرقن الباب بشدة ويقلن له بلهجة بسيطة جاهلة: "سيادةَ المرزا، افتح الباب"، فينهض فورا كأنه تلقَّى الأوامر من حاكم كبير ويحدّثُهن بوجه طلق ويصف لهن الدواء.

ويتابع حضرة السيالكوتي ويقول: من المعلوم أنه حتى المثقفون في بلادنا لا يقدّرون الوقتَ حق قدره، أما البسطاء الأميون فهم أكثر إهدارًا للوقت، فكم من مرة تبدأ امرأةٌ في كلام فارغ مع حضرته، وتشتكي إليه مشاكل بيتها وشجارها مع حماتها أو أخت زوجها، وتضيّع في هذا الكلام الفارغ ساعة كاملة، ومع ذلك يظل حضرته يستمع إليها بمنتهى الوقار والصبر، بدون أن يقول لها باللسان أو بإشارة خفيفة أنِ انصرفي واتركيني فقد وصفتُ لك الدواء أو آتيكِ إياه، فلا تضيِّعي وقتي (يقول حضرة السيالكوتي إن حضرة المسيح الموعود عليه السلام لا يقول لها اذهبي الآن، لقد سددت حاجتك فماذا تريدون الآن ولماذا تضيعين وقتي)، كلا بل كانت تنهض بنفسها وتخلي المكان بعد انقضاء وقت كثير.

ويقول حضرة السيالكوتي رضي الله عنه: ذات يوم جاءته عليه السلام نسوةٌ جاهلات كثيرات بأولادهن ليفحصهم ويصف لهم الدواء، كما خرجتْ في ذلك الوقت من داخل بيته أيضا نساء أخريات بالأواني للحصول على شربة ودواء، وكان حضرته عليه السلام يريد آنئذ كتابة مقال مهم في قضية دينية، وكان عليه

أن ينجزه عاجلا. فحضرتُ هنالك في تلك اللحظة صدفةً، فإذا حضْرتُه قائم نشطًا كما يقوم الأوروبي لأداء خدمته الدنيوية يقظا نشطا، وقد فتح حضرته خمسة أو ستة صناديق، يعطي البعض دواء والبعض الآخر شربة من زجاجات وقوارير صغيرة، وظل مشغولا بهذا العمل قرابة ثلاث ساعات متتالية. (لم يستمر هذا العمل ربع أو ثلث أو نصف ساعة أو ساعة بل استمر المشفى لثلاث ساعات بدون انقطاع). وبعد أن فرغ حضرته عليه السلام من ذلك قلت له: سيدي، هذا إزعاج كبير ويضيع من وقتك الثمين كثيرا. لكن سبحان الله! بأي سرور وطمأنينة أجابني حضرته: إن هذا العمل أيضا دينيٌّ، (أي أن خدمة الخلْق وعيادة المرضى ومداواتهم أيضا عمل الدين).

إن هؤلاء قوم مساكين، ولا يوجد هنا أي مشفى، وإنني أشتري لهم كل نوع من الأدوية الإنجليزية واليونانية التقليدية التي تنفعهم عند الحاجة. ثم قال عليه السلام: إن هذا عملُ ثوابٍ عظيم، وعلى المؤمن ألا يتهاون أو يتغافل عن مثل هذه الأعمال.

ويقول شيخ يعقوب علي العرفاني: كان لاله ملاوامل (الهندوسي) يبلغ من العمر ٢٢ عاما وكان مصابا بمرض عرق النساء (لعله مرض النقرس أو ما يسمى الإنجليزية Sciatica)، وكان من عادة المسيح الموعود عليه السلام الشريفه أن يسأل عن حاله بواسطة أحد خدامه اسمه جمال صباحا ومساء، كما كان حضرته يذهب بنفسه لعيادته مرة كل يوم. ومعلوم أن ملاوامل كان من شعب آخر وديانة أخرى، ولكنه كان يجالس المسيح الموعود عليه السلام بكثرة، وهكذا كانت علاقة الرفقةِ معه، فكان حضرته يعتني به من باب المواساة الإنسانية والصحبة.

فهذه الواقعة تلقي الضوء على أمرين: عيادة المريض ومراعاة الصداقة أيضا. كان الرجل من ديانة أخرى، مع ذلك اعتنى به حضرته كونه صديقا له، كما اعتنى به كونه مريضا. لقد حافظ حضرته على حق الصداقة بحيث ذهب إلى بيت هذا لعيادته وداواه أيضا.

يقول السيد ملاوامل: أنه أُعطيَ ذات يوم دواءً جعله يتبرز بالليل ١٩ مرة، حتى بدأ الدم يترف مع برازه واشتد به الضعف، ولما جاءه خادمه عليه السلام في الصباح الباكر يسأل عن حاله كالمعتاد، حكى له ملاوامل ما حدث به بالبارحة وقال له قُلْ لحضرته (المسيحِ الموعود عليه السلام) أن يأتيني بنفسه. فما لبث المسيح الموعود عليه السلام أن ذهب إلى بيت ملاوامل وتأذى برؤية حاله وقال له يبدو أن الدواء الذي شربته كان بمقدار أكثر من اللازم. ثم أمر حضرته باستخراج لعاب "الاسبغول" لملاوامل، فلما تناوله خف الالتهاب وتوقف التريف وزال الألم. هذا هو حق الصداقة والجوار وعيادة المريض.

ثم يقول الشيخ يعقوب علي عرفاني ﷺ نفسُه، أن لاله شرمبت راي مرض يوما حيث ظهر على بطنه دملٌ صار خطيرا، فلما علم بذلك حضرته السَّيِّدَة ذهب شخصيا إلى بيت لاله شرمبت راي المظلم والضيق جدا، فزاره وكان قلقا جدا ويوقن بأن موته وشيك، ويتحدث باضطراب كما يتكلم الإنسان الفزع المذعور، فطمْأنه حضرته كثيرا وقال لا تقلق إنني أعيِّن الدكتور عبد الله فسوف يعالجك جيدا، وكان الدكتور عبد الله يومذاك هو الدكتور الوحيد الذي يمارس الطب في قاديان، وكان طبيبا ماهرا. ثم جاء حضرته في اليوم التالي بالدكتور والملاحظ أنه لم يرسله بل قد جاء به شخصيا، وأمره بعلاج لاله شرمبت راي و لم يفرض على لاله نفقة العلاج، أي لم يطلب منه أي أجر، ثم كان يزوره يوميا دون انقطاع. فلما بدأ الجرح يندمل وتحسَّن كثيرا، بدأ يعوده متقطعا لكنه لم ينقطع عن عيادته نهائيا ما لم يُشف تماما. هذه هي أسمى نماذج الوفاء بالصداقة، والعيادة، ومواساة المريض التي أراها حضرته السَّيِّدَة.

الحقوق الخمسة التي فرضها النبي ﷺ على مسلم لمسلم، أي قال: حق لمسلم على أخيه المسلم منها، عيادة المريض أيضا، فإن أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ". (أي إذا قال العاطس الحمد لله فعلى السامع أن يقول يرحمك الله)

الحق التالي الذي اخترتُه لأتكلم عنه اليوم هو حق اليتامى، فقد قال الله ﷻ عن حق اليتامى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (الأنعام: ١٥٣)، أي إذا اضطُررتم لكفالة يتيم يملك مالا فلا تأكلوه بغير حق بحجة الكفالة، فالكافل إذا كان موسرًا فلينفق من جيبه على كفالته فهذا خير له، وإن لم يكن موسرًا فلينفق بكل حذر بحسب الحاجة. ثم قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٥).

فقد وضَّح هنا أكثر أنه يجب ألا يأكل من مال اليتيم باطلا فحسب بل يجب أن يحفظ ماله، وعندما يبلغ اليتيم الرشد والنضج يجب أن يعيد إليه ماله، ومن المراد من حفظ أمواله أنها يمكن أن تُستثمر في تجارة رابحة، وهذا هو الأسلوب الصحيح لحفظ مال اليتيم.

ثم قال: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان: ٩)، أي أنهم يُطعمون المساكين واليتامى والأسرى الطعامَ رغم حبهم له. فمن شأن المؤمن أنه رغم احتياجه فهو يضحي لأداء الحقوق. ثم قال: ﴿كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ (الفجر: ١٨)، أي لا تؤدون حق اليتيم، فاحذروا العقاب على ذلك. ثم قال: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (الضحى: ١٠)، أي لا تمارس القسوة على اليتيم. فكيف لفت الله انتباهنا

إلى أداء حق اليتيم الذي هو أضعف جزء من المجتمع، فأمَرنا بحفظ جميع حقوقه ما لم يبلغ أشده، وهذا هو الشرط اللازم للمؤمن.

ثم نلاحظ كيف أن النبي ﷺ أوصانا بالعناية باليتيم في ضوء هذه التوجيهات القرآنية، نجده في شتى الروايات، ومنها: عَنْ زَيْنَب امْرَأَة عَبْد اللَّه بن مسعود قَالَتْ كُنْتُ فِي الْمَسْجد فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: "تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ". وَكَانَتْ زَيْنَبُ تُنْفِقُ عَلَى عَبْد اللَّه وَأَيْتَامٍ فِي حَجْرِهَا فَقَالَتْ لِعَبْد اللَّه سَلْ رَسُولَ اللَّه ﷺ أَيَجْزِي عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ عَلَيْكَ وَعَلَى أَيْتَامٍ فِي حَجْرِي مِنْ الصَّدَقَة؟ فَقَالَ سَلِي أَنْتِ رَسُولَ اللَّه ﷺ فَانْطَلَقْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَجَدْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى الْبَاب حَاجَتُهَا مِثْلُ حَاجَتِي (أي كانت عندها السؤال نفسه) فَمَرَّ عَلَيْنَا بِلَالٌ فَقُلْنَا سَلْ النَّبِيَّ ﷺ أَيَجْزِي عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ عَلَى زَوْجِي وَأَيْتَامٍ لِي فِي حَجْرِي وَقُلْنَا لَا تُخْبِرْ بِنَا فَدَخَلَ فَسَأَلَهُ فَقَالَ مَنْ هُمَا قَالَ زَيْنَبُ قَالَ أَيُّ الزَّيَانِب قَالَ امْرَأَةُ عَبْد اللَّه قَالَ: "نَعَمْ لَهَا أَجْرَانِ أَجْرُ الْقَرَابَة وَأَجْرُ الصَّدَقَة". ومن المؤكد أنها ستنال أجر هذا الإنفاق.

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أنا وكافل اليتيم نكون في الجنة كهاتين"، وقال الراوي مالك، أنه ﷺ أشار إلى إصبعَي الشهادة والوسطى، وضمَّهما وقال سيكون كافل اليتيم معي كهاتين.

وليس هذا تعليمٌ فقط بل نجد الأمثلة على العمل به أيضا.

فعن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال بعث رسول الله ﷺ فينا ساعيا فأخذ الصدقة من أغنيائنا فقسمها في فقرائنا وكنت غلاما يتيما فأعطاني منها قلوصا. في ذلك العصر لم يكن أمرًا عاديا أن يعطى يتيم ناقة.

عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: "كل مسلم أشرك اليتيم في الطعام والشراب فسوف يدخله الله الجنة".

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "اللهم إني أنذر الناس بشدة عن حق ضعيفَين هما اليتيم والمرأة". أي إذا لم تؤدوا حقهما فسوف تتعرضون لبطش الله ﷻ.

عن أبي هريرة قال قال النبي ﷺ: "خير بيوت المسلمين ما فيه يتيم يُحسَن إليه، وشر بيوت المسلمين ما فيه يتيم يُساء إليه". فكم أبدى ﷺ الكراهيةَ لمن لا يؤدي حق اليتيم، وأنذر إنذارا شديدا.

ثم عن تربية اليتيم قال ﷺ مبشرا، عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: "مَنْ عَالَ ثَلَاثَةً مِنْ الْأَيْتَامِ كَانَ كَمَنْ قَامَ لَيْلَهُ وَصَامَ نَهَارَهُ وَغَدَا وَرَاحَ شَاهِرًا سَيْفَهُ فِي سَبِيلِ اللَّه وَكُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ أَخَوَيْنِ كَهَاتَيْنِ أُخْتَانِ وَأَلْصَقَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى". فما أعظم أجره.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام، يقول الله ﷻ في آية: ﴿يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾. أي مقابل هذه الخدمات نريد وجهَ الله أي نريد رضوانه ﷻ فقط. فالجدير بالتأمل هنا كم يتبين جليا من هذه الآيات أن القرآن الكريم وصف أسمى

درجة لعبادة الله والأعمال الصالحة بأن يبتغي المرءُ حبَّ الله ورضوانَه بصدق القلب. إنما سَمَّى الله ﷻ هذا الدين إسلامًا لأنه يعلِّم الإنسان ألا يعبد اللهَ لأغراض نفسانية بل ينبغي أن يعبده بحماس فطري (أي ينبغي ألا يعبد الإنسانُ اللهَ لغرض شخصي بل يجب أن يكون عنده حماسٌ للفوز بحب الله ﷻ ورضوانه) لأن الإسلام يعني الرضا بالقضاء بعد التخلّي عن جميع الأغراض.

ليس في العالم دينٌ غير الإسلام له هذه الأهداف. قال عليه السلام: صحيح أن الله ﷻ قد وعد المؤمنين أنواع النعم لإثبات رحمته، إلا أنه علَّم أولئك الذين يتمنون أسمى المراتب من المؤمنين أن يعبدوا الله ﷻ بدافع الحب الذاتي. وإن أداء حق الأيتام والمساكين يولِّد حب الله، ففي زمن النبي ﷺ ذات مرة بقي يتيمٌ، فبدأ الصحابة يتخاصمون على كفالته حيث كان أحدهم يقول إنه سيكفله والثاني كان يقول إنه هو سيربيه، فرفعت القضية أخيرا إلى النبي ﷺ فقال أحضِروا الولد فمن أراد أن يذهب معه فليسلَّم له. فهكذا كان الصحابة يتسابقون في أداء هذا الواجب.

إن الإسلام يوصي كثيرا بإيفاء العهود، ويعلِّم كيف يجب أن تؤدوا حق العهود التي تبرمونها، وينصح بإيفائها في كل حال. أحيانا عاهد العدو مسلمًا بشطارة، فأمر خليفة الوقت أن يوفَى حتى ذلك العهد. ففي عهد سيدنا عمر رضي الله عنه قطع عبدٌ حبشي عهدا لقوم أنهم سيعطَون كذا وكذا من المراعاة. ثم لما وصل إليهم الجيش الإسلامي قالوا إن لنا عهدا، وأراد أمير الجيش أن يرفض التسليم بذلك العهد بحجة أو أخرى، ولما بلغ الأمر سيدَنا عمر رضي الله عنه، قال يجب ألا يكذَّب مسلم، فحين قطع المسلم عهدا حتى لو كان عبدا فعلينا أن نوفي العهد.

يقول الله ﷻ في القرآن الكريم عن الإيفاء بالعهود: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: ٤)، فأحد خصال السالكين على درب التقوى أنهم يوفون العهد ويؤدون حقه.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا". إن رائحة الجنة منتشرة بهذا النطاق الواسع ولكن حُرِم منها من خالف المعاهدة.

عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ آبَائِهِمْ دِنْيَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

وهناك معاهدة مع الذمّي، والحفاظ على حقوقه فرض على المسلم.

ثم هناك رواية عن مدى رعاية النبي ﷺ للمعاهدات، عن أبي عبد الرحمن بن البيلماني قال: قتل رسول الله ﷺ رجلا من أهل القبلة قتَلَ رجلاً من أهل الذمة، وقال ﷺ: أنا أحق من وفى بالذمة.

أي أن المسلم قد قتل ذميًّا وبسبب ذمته قُتل هذا القاتل أيضا.

عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ ﷺ قَالَ: نَزَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ خَيْبَرَ وَمَعَهُ مَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِه وَكَانَ صَاحِبُ خَيْبَرَ رَجُلًا مَارِدًا مُنْكَرًا فَأَقْبَلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَلَكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا حُمُرَنَا وَتَأْكُلُوا ثَمَرَنَا وَتَضْرِبُوا نِسَاءَنَا فَغَضِبَ يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ وَقَالَ: "يَا ابْنَ عَوْفٍ ارْكَبْ فَرَسَكَ ثُمَّ نَادِ أَلَا إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِمُؤْمِنٍ". وَأَنْ اجْتَمِعُوا لِلصَّلَاةِ قَالَ فَاجْتَمَعُوا ثُمَّ صَلَّى بِهِمْ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: "أَيَحْسَبُ أَحَدُكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِه قَدْ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُحَرِّمْ شَيْئًا إِلَّا مَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ، أَلَا وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ وَعَظْتُ وَأَمَرْتُ وَنَهَيْتُ عَنْ أَشْيَاءَ إِنَّهَا لَمِثْلُ الْقُرْآنِ أَوْ أَكْثَرُ. وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُحِلَّ لَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا بِإِذْنٍ وَلَا ضَرْبَ نِسَائِهِمْ وَلَا أَكْلَ ثِمَارِهِمْ إِذَا أَعْطَوْكُمْ الَّذِي عَلَيْهِمْ أي من الجزية".

عن ابن عباس أن النبي ﷺ أمر بأداء دية القتيلين من بني عامر مثل دية أحرار المسلمين، ذلك لأن كليهما كانا معاهدَين للنبي ﷺ. وبما أنهما قُتلا، لأجل ذلك أدى ﷺ ديّتهما. فينبغي الوفاء بالعهد مع غير المسلم أيضا، فهذا حقه. هناك واقعة مشهورة في التاريخ، من صلح الحديبية، وقد ذكرها المصلح الموعود ﷺ أيضا أن النبي ﷺ قد أكد على الوفاء بالعهد حتى ولو كان مع كافر، فينبغي ألا يتم مخالفته. كان أحد الشروط في معاهدة صلح الحديبية أنه إنْ لحق بنا أحد منكم فسنرده إليكم، ولكن إذا لحق بكم أحد منا فلن تردّوه للمسلمين. كان هذا الشرط صعبًا وقاسيا للغاية ولم يكن شرط المساواة ألبتة، وكان قد كُتب في المعاهدة دون أن يتم التوقيع عليها حتى جاء النبيَّ ﷺ أبو جندل مصفَّدًا بالقيود ومنهَكًا بالجروح وذكر له حالته الصعبة ثم قال: يا رسول الله، خذني معك، فإنهم يعذبونني بسبب إسلامي تعذيبًا شديدًا. لقد قال بعض الصحابة أيضا بأنه ينبغي أن نأخذه معنا لأنه كفى ما قاساه من التعذيب على يد الكفار. ولكن والده جاء وقال: إن أخذه معكم يعتبر خيانة للمعاهدة. قال الصحابة ولكن لم يتم التوقيع على المعاهدة بعد. فقال: لقد كُتب هذا في المعاهدة ولا يؤثر إن لم يتم التوقيع عليها. فقال النبي ﷺ: أرجعوه إليهم. لا نستطيع إبقاءه معنا وفق نص المعاهدة. الحق مع أبيه. لقد انزعج الصحابة على قول أبيه غير أن النبي ﷺ قد ردّ أبا جندل إلى أبيه فأخذه معه.

ولكن بعد رجوع النبي ﷺ إلى المدينة وجد أبو جندل فرصة التخلص منهم فوصل إلى النبي ﷺ مرة أخرى، وتبعه شخصان من أهل مكة لاسترجاعه فقالا للنبي ﷺ: لقد عاهدت معنا أنك سترجع كل من يأتيك من عندنا. فقال النبي ﷺ نعم، هذا هو العهد بيننا فخذوه. فقال أبو جندل: يا رسول الله، هل ترجعني

إليهم ليعذبوني أشد من ذي قبل؟ ولكن الرسول ﷺ قال: إن الله أمرني بعدم خيانة العهود. فلا بد لك من العودة إليهم. فذهب معهما غير أنه قتل أحدهما في الطريق ورجع إلى المدينة، وقال للنبي ﷺ: يا رسول الله قد أوفيت ذمتك، ولكن ليس بيني وبينهم عهد أذهب إليهم بموجبه، لذلك رجعت الآن. وحدث أن رجع الشخص الثاني مرة أخرى لاسترجاعه. فقال النبي ﷺ لأبي جندل: لا نستطيع أن نبقيك عندنا، فأرسله مرة أخرى مع هذا الشخص الذي لم يستطع أن يأخذه معه فبقي أبو جندل.

وهناك رواية أخرى تقول بأن أبا جندل بدلا من رجوعه إلى المدينة قصد مكانًا آخر. أما النبي ﷺ فقد كرّر له قوله السابق بأنني تعاهدت معهم ولا أريد أن أنقضه. فعلى الرغم من تعرض أحد المسلمين لمصيبة شديدة أوفى ﷺ ما عاهد عليه الكفار.

وكان هناك شرط في معاهدة صلح الحديبية أن من أراد أن يدخل في عهد محمد ﷺ دخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عهد أهل مكة دخل فيه. أي كانت هناك حرمة الاعتداء على أي قبيلة لأي أسباب حتى القبائل التي على عهد مع المسلمين أو مع قريش. ولكن أهل مكة نقضوا العهد وهاجموا قبيلة كانت من حلفاء المسلمين، فشكت هذه القبيلة إلى النبي ﷺ فقرر مهاجمة أهل مكة دفاعًا عن هذه القبيلة الحليفة. كان من حقهم وفق المعاهدة أن تتم مساعدتهم، وكان واجبًا على المسلمين أن يفوا بعهدهم ويأخذوا حقهم من أهل مكة ويعاقبوا أهل مكة لنقضهم الميثاق بينهم. على أية حال، لما بلغ الخبر أهلَ مكة أرسلوا أبا سفيان فجاء وأعلن في المسجد النبوي أنه كان غائبا في صلح الحديبية لأجل ذلك لا بد من تجديد العهد، ولكن المسلمين قالوا له أن يكف من هذه الأحاديث الصبيانية، لأن المعاهدة كانت قد تمت ونقضتموها الآن، فرجع نادمًا، وكان فتح مكة نتيجة لنقضهم هذا العقد.

ثم هناك حقوق للمحاربين. إن الحروب التي تحدث اليوم عمومًا لهي هادفة إلى إثبات التفوق على الدول ولتوسيع رقعة الدولة، كما أنها تشن من أجل السيطرة على موارد الدول الأخرى بطريق أو بآخر. إن هؤلاء الناس يتكلمون عن الحقوق وهم يغتصبون حقوق الآخرين. ولكن الحرب التي سمح بها الإسلام فهي حصرًا تلك التي تكون من أجل إقامة الأمن ولإعطاء الحرية الدينية للناس ومن أجل مكافحة الظالمين، ورغم الحرب يقيم الإسلام حقوق الأعداء. فعندما نزل الأمر الأول بالإذن للقتال فقد أخبر الله تعالى فيه السبب لهذا الإذن حيث قال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠-٤١).

أي إذا تُرك الأمر دون وازع ورادع فلن يسلم أي معبد ديني، بل سيقضي هؤلاء الظالمون على كل شيء. لذلك فقد أذن الله تعالى بذلك من أجل إقامة العدل لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٩).

كيف أقام النبي ﷺ حقوق المحاربين؟ هناك رواية عن ذلك عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: "اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمْ الْجِزْيَةَ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ *(لماذا؟ يقول:)* فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ *(فإن لم تفوا بهذه الذمة فستأثمون وستُسألون)* وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا.

فقد نصح النبي ﷺ بالالتزام بالرفق واللين إلى أقصى حد ممكن.

ثم ورد في رواية أن النبي نهى عن النهب والمثلة. عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَائِذٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا بَعَثَ بَعْثًا، قَالَ لَهُمْ: «تَأَلَّفُوا النَّاسَ وَتَأَنَّوْهُمْ وَلَا تُغِيرُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى تَدْعُوهُمْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ بَيْتِ مَدَرٍ، وَلَا وَبَرٍ، لَأَنْ تَأْتُونِي بِهِمْ مُسْلِمِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَأْتُونِي بِنِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ، وَتَقْتُلُوا رِجَالَهُمْ» (معرفة الصحابة)

عن أَنَس بْن مَالك أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: "انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللهِ وَبِاللهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللهِ وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلَا طِفْلًا وَلَا صَغِيرًا وَلَا امْرَأَةً وَلَا تَغُلُّوا وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ وَأَصْلِحُوا وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ".

(سنن أبي داوود، كتاب الجهاد)

وفي رواية عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ سَرِيَّةً يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ، فَأَفْضَى بِهِمُ الْقَتْلُ إِلَى الذُّرِّيَّةِ، فَلَمَّا جَاءُوا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَا حَمَلَكُمْ عَلَى قَتْلِ الذُّرِّيَّةِ؟" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كَانُوا أَوْلَادَ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: "أَوَ هَلْ خِيَارُكُمْ إِلَّا أَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ نَسَمَةٍ تُولَدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يُعْرِبَ عَنْهَا لِسَانُهَا." (مسند أحمد، كتاب مسند المكيين) عن رَبَاحِ بْنِ رَبِيعٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ فَرَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ فَبَعَثَ رَجُلًا فَقَالَ: انْظُرْ عَلَامَ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ، فَجَاءَ فَقَالَ: عَلَى امْرَأَةٍ قَتِيلٍ، فَقَالَ: "مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ، قَالَ: وَعَلَى الْمُقَدِّمَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَبَعَثَ رَجُلًا فَقَالَ: قُلْ لِخَالِدٍ لَا يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلَا عَسِيفًا". (سنن أبي داوود، كتاب الجهاد)

يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ أَنْ يَدْخُلَهَا مِنْ أَسْفَلِهَا يوافيه على الصفا، وأمر أبا عبيدة بن الجراح أن يدخلها من بطن الوادي وينتظره أمامه، وأكد النبي ﷺ ألا يُرفع السلاح ما لم يعرض لكم أحد، هذا التوجيه كان للجميع وخاصة لخالد بن الوليد، فبدأ جيش المسلمين يدخل مكة بحسب توجيهات النبي ﷺ، ومن حيث كان خالد بن الوليد دخلها لم تكن رسالة الأمن قد وصلت هناك، لذا عرض له هناك بعض قريش وخرج عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو مع أصحابهم للمواجهة وشنّوا الهجوم لذا اضطر خالد لرفع السلاح دفاعا فبدأ الاشتباك في الخندمة وأُصيبَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ نَاسٌ قَرِيبٌ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، وحين رأى الآخرون عاقبتهم هربوا ثم لم يجرؤ أحد للمواجهة، بلغ النبي ﷺ خبر هذا الحادث قبل مجيء خالد بن الوليد وطُلب من النبي ﷺ أن يمنع خالدا وإلا سيقتل جميع أهل مكة، فدعا النبي ﷺ خالدا فورا وقال: أو لم أنهك عن القتال، فقال خالد: يا رسول الله، بلى ولكنهم بدأوا بالهجوم أولا ورموا بالنبل. فصبرنا وقلنا لهم بأننا لا نريد القتال لذا لا تعرضوا لنا، ولكنهم لم يبالوا واستمروا في رمي السهام والنبال، فاضطررنا للقتال فهزمهم الله تعالى كليا. قبل النبي ﷺ توضيحه. لم يحدث أي حادث جدير بالذكر غير هذا. وافى النبي ﷺ جميع القادة في المكان المقرر وقبل طلوع الشمس بقليل فُتحت مكة كلية.

اليوم الذين يعترضون على الإسلام هم أنفسهم يشنون الهجوم على المشافي والمدارس دونما تمييز، ويدمرون المنشآت العامة بالقصف الجوي، ويقتلون الأطفال والنساء والمرضى في بيوتهم، ولا يسلمون بحق أحد قط، وبالرغم من ذلك يرمون الإسلام بغصب الحقوق. من ذا الذي يراعي الحقوق لهذا الحد غير النبي ﷺ وخلفائه الراشدين؟!

أقدم ملخص ما أقامه الإسلام من حقوق الأعداء حتى في حالة الحرب. قال المصلح الموعود ﷺ أيضا:

١ – يحرم على المسلمين جميعا أن يمثلوا بجثث القتلى في أي حال. أي لا يجوز لمسلم أن يسيء إلى جثث القتلى ويقطع أعضاءها.

٢ – يحرم على المسلمين أن يلجأوا إلى الغدر والخيانة في الحرب.

٣ – لا يجوز قتل النساء ولا الأطفال.

٤ – لا يجوز قتل الرهبان والقسس والقادة الدينيين الآخرين.

٥ – لا يجوز قتل الشيوخ والعجزة والأطفال والنساء، ويجب أن يكون نصب أعيننا دائمًا أن نتيح الفرصة لإحلال السلام (أبو داود).

٦ – عندما يدخل المسلمون أرض العدوّ يجب ألا يُرَوّعوا سكان البلد، ولا يقسوا على الناس عامة. (لا يروّعوا عامة الناس بلا سبب كما يروعون اليوم بواسطة القصف الجوي).

٧ – لا يجوز للجيش المسلم أن يضرب معسكره في مكان يتسبب في إزعاج الجمهور العام. وعندما يتحرك على الطريق فلا يجوز له أن يسبب إزعاجًا لعابري هذه السبل. (لا يجوز ضرب المعسكر في الطرق لترويع الناس، كان النبي ﷺ أكد على ذلك وقال من خالف هذه الأمور سيكون قتاله لنفسه وليس لوجه الله)

٨ – لا يجوز جرح وجوه الأعداء أثناء القتال.

٩ – عند القتال على المسلمين أن يحاولوا تكبيد العدو أقل خسائر ممكنة.

١٠ — ومن الأسرى من كانوا أقرباء لبعضهم يجب عدم التفريق بينهم.

١١ – يجب أن يراعي المسلمون راحة الأسرى أكثر مما يرعون راحتهم.

١٢ – يجب احترام الرسل من البلاد الأخرى ويجب تجاهل ما يصدر عنهم من أخطاء.

١٣ – أي سوء معاملة تحدث من مسلم نحو أسير، فكفارتها إطلاق سراح هذا الأسير، دون أن يدفع فدية عن نفسه.

١٤ – إذا وُضع أسير حرب تحت رعاية أحد المسلمين، فعليه أن يُطعمه مما يأكل ويكسوه مما يلبس. وهذا ما عمل به الصحابة.

١٥ – وفي ضوء هذه التعاليم أصدر أبو بكر ﷺ بعض التعليمات الأخرى أنه لا يجوز إتلاف المنشآت العامة والأشجار المثمرة. (حياة محمد)

قال المصلح الموعود ﷺ في تفسير الآيات المتعلقة بعباد الرحمن:

"بين الله تعالى أن من علامات عباد الرحمن أنهم لا يقتلون أحدا بغير حق، وقد تجلّت هذه الميزة في الصحابة الأطهار بكل عظمتها وجلائها. لقد عملوا بهذا الحكم بكل حيطة وحذر، فبرغم أنهم كانوا يقاتلون أمةً

كانت تسعى لتغيّر دينهم بحد السيف إلا أنهم لم يرفعوا سيوفهم إلا على الذين يشتركون في الحرب ضدهم بصورة عملية، فلم يشهروا سيوفهم على امرأة ولا على طفل، ولا شيخ، ولا راهب، ولا قسيس، ولا باندت هندوسي، إذ كانوا يعلمون أن الإسلام إنما يسمح لهم بقتال الذين يقاتلونهم، أما الذين لا يقاتلونهم فلا يبيح لهم قتلهم وإن كانوا ينتمون إلى الشعب المحارب. إنك ترى اليوم القوى العظمى التي تدَّعي في العالم أنها حاملة لواء العدل والإنصاف وأن وجودها ضمان للسلام العالمي، ولكنك تجدها تهدد أعداءها بالقضاء عليهم بالأسلحة الذرية، بل إنها بالفعل قد ألقت القنابل الذرية على هيروشيما وناغازاكي في الحرب العالمية الثانية وقتلوا مئات الآلاف من اليابانيين الأبرياء، ذكورا وإناثا وأطفالا. (واليوم أيضا تُشن الهجمات على مختلف المدن وتُنشب الحروب كما حدث في العراق وسوريا واليمن، إنه تكرار الشيء نفسه) بل أُشيد بتصرّفها هذا واعتُبر إنجازًا عظيمًا لقيام السلام في العالم. ولكنك لن تجد أي ظلم كهذا في زمن الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين. فلم يقتلوا الأبرياء من الرجال والنساء والولدان حتى في حالة الحرب. ولكن المؤسف أن هذه الشعوب التي لوثت أيديها بدماء مئات الآلاف من الأبرياء تُعدّ رمزًا للعدل والسلام، أما المسلمون الذين لم يدوسوا نملة واحدة تحت أقدامهم، فيسمونهم صعاليك وقطّاع طرق!" (التفسير الكبير ج٦)

قال المسيح الموعود عليه السلام: لتذكروا هذا الفرق أيضا أن الإسلام أمر بحمل السيف فقط مقابل أولئك الذين يحملون السيف أولا وأمر فقط بقتل أولئك الذين يقتلون أولا.

فهذه بضعة حقوق ذكرتُها وبإقامتها نستطيع إقامة الأمن في المجتمع وفي الدنيا وإلا لا ضمان للأمن في الدنيا. وخاصة حقوق المحاربين التي ذكرتها إذا لم تفهم في ضوئها الحكوماتُ واجباتها ولم تؤدِّ حقوق الآخرين فلتستعد لمواجهة الحرب العالمية التي دمارها يفوق التصور، وهب الله تعالى أهل الدنيا والحكومات الدنيوية العقل لكي يقلقوا لحماية البشرية بدلا من أنانيتهم. فاليوم من واجب كل أحمدي أن يدعو لتنجو الدنيا من الدمار والخراب، وتؤمن بالله وحده لا شريك له، وتفهم تعليم النبي ﷺ وتعمل به ففيه بقاؤها وهو ضمان لبقائها وبقاء أجيالها. وهبها الله العقل. حفظ الله تعالى أحمديي العالم كله من كل ناحية، وادعوا الله تعالى أن يحفظ كل أحمدي وكل مظلوم من كل نوع من الشر. تعالوا ندعُ الآن.

★★ ★★★